

## الرواية البوليسية وأدب الخيال الإجرامي



انتشرت كتابة الروايات البوليسية في العالم كله، وارتبطت بظاهرة خاصة، هي رجال التحري الذين يعملون بصورة مستقلة عن الشرطة ويتعاون مع رجالها أحياناً، وأصبحت شخصيات كثيرين من رجال التحري ذات شهرة عالمية. ويقبل القراء بنهم على قراءة قصص الجرائم لما تتضمنه من الجرائم في كونها تضم ما هو أكثر وأعمق من اللغز والإثارة. فهي ترسم صورة لتقافة المجتمع، وتحلل العلاقة بين طبقاته، وتطرح على قارئها تساؤلات مهمة حول المثل والأخلاق والطبيعة الإنسانية.

والحصان في الفصل الثالث من روايته هذه، تُعد من الأدب البوليسي الباك. وفي الرواية محاولة حقيقية لتحليل جريمة ودوافعها. أما القصة الجنائية الدنماركية (عميد فايلباي) التي ألفها ستين ستينسن بلتشر (1782 - 1848)، فصدرت سنة 1829. ثم تلتها رواية جنائية نرويجية، هي (اغتيال صانع المحركات رولفسن)، للآديب موريتس هانسن (1794 - 1842)، سنة 1839. لكن كل هذه القصص لا تُسمى (بوليسية) بالمعنى المعروف اليوم.

وفي شكل أو في آخر، تعتبر الرواية البوليسية مرتبطة بالقرن العشرين، لا سيما بالثلاثي الذي ستأتي السينما لتعزيزه في أفلام انتمت إلى بلدان عدة طوال هذا القرن: المدينة، المرأة والجريمة.

انتشرت الرواية البوليسية طوال القرن الفائت أكثر من أي أدب آخر، واجتذبت كتاباً معظمهم تخصص فيها، وكان رائدهم الأول في معظم الأحيان هو التعبير عن عقلانية معينة تقف وراء الحلول النهائية للأغماز، ما يعطي العقل سلطته المطلقة على المجرم. نجد هذا في مغامرات شرلوك هولمز وأبطال آغانا كريستي، كما نجده في الرواية الأمريكية.

في خضم هذا كله يبدو انتماء حقبة ازدهار الرواية البوليسية إلى الزمن الحديث أمراً لا مراء فيه، ومع ذلك ثمة من يعيد ولادة عصرها الذهبي إلى القرن التاسع عشر، ويذكر أسماء فيكتور هوغو، وأنونوريه دي بلزاك ولا سيما دوستوفسكي، كأدباء مرشحين لتوليد هذا الأدب. ويبدو هذا الأمر ممكناً من خلال القول أن ثمة عناصر من الأغماز والتحقيقات البوليسية في أدب هؤلاء - أو بعضه -، أما الأب الحقيقي والشرعي للقصة البوليسية الخالصة فهو - في هذا، الإطرا - إدغار آلان بو، الذي أسس الأدب البوليسي، القائم على لغز إجرامي يتعين حله، وهو الذي ينسب إليه

المؤرخون إنشاء هذا النوع في الآداب بروايته (جرائم شارع مورج) 1841 وهي رواية يظهر فيها أوغست دوبان، المحقق الجنائي اللامع والغريب الأطوار الذي يستخدم المنطق في حل الأغماز، وبهذه الرواية وكذلك رواية (سر ماري روجيه) سنة 1843، ورواية (الرسالة المسروقة) سنة 1844. سن آلان بو، دون عون من أحد، السنّة الأدبية للقصص البوليسية الخيالية. ومع هذا فإن آلان بو، الذي كانت اهتماماته بالأدب «الخالص» والشعر، تقوق اهتماماته البوليسية، لم يكن سوى المهمد لكتاب لن يكون من الظلم أن ننسب إليهم، تأسيساً حقيقياً لهذا الأدب. لكن نشاهد أن إدغار آلان بو قد تأثر بقصة ألمانية عنوانها (الأنسة فون سكوديري)، التي كتبها إي. تي. إيه. هوفمان (1776 - 1822) سنة 1819، وهي قصة تنتهي بثبوت براءة المشتبه به المفضل لدى الشرطة الجنائية، في قضية قتل صائح خلال قصته (جرائم شارع مورج).

فقد أسس آلان بو أصولاً للعقدة القصصية في الرواية البوليسية لا تزال معتمدة إلى الآن. وتوالت قصصه التي يتولى التحقيق في جرائمها أوغست دوبان، ومنها: (سر ماري روجيه) سنة 1843، ثم (الرسالة المختلصة) سنة 1844.

أسس آلان بو روايته البوليسية على أن الغرض هو معرفة الحقيقة، وأن بلوغ هذا الغرض يقتضي مساراً شديد التعقيد، وعملاً سريعاً، يجمع الحدس القوي إلى التحليل المنطقي والمراقبة الذكية والاستنتاج النفاذ. وقد أجمعت الروايات البوليسية الأولى في ذلك العصر على أن تكون القصة من أولها إلى آخرها، متابعة مسيرة المحقق، بطل القصة الأوحده، في اقتراه من حل اللغز الجنائي. ويرى النقاد أن آلان بو ابتعد عن الخيال في هذه الرواية لأنها مؤسسة على حادثة حقيقية حدثت لامرأة اسمها ماري سيسيليا روجرز.

وفي طليعة هؤلاء الأدباء المرشحين لتوليد هذا النوع من الأدب غابوريو الفرنسي، ولكن بخاصة ويلكي كولنز البريطاني (1824 - 1889)، الذي فيما كان يكتب رواياته الأولى متأثراً بصديقه تشارلز ديكنز وبالأخوات برونتي في آن معاً، لم يكن يعرف طبعاً أنه في طريقه ليصنع الأسس، لذلك المزج الخلاق بين «البوليسي» و«الميلودرامي»، في نوع نال حظوة كبيرة لدى القراء ولا يزال، وأحبته سينما كثيراً، حتى وإن كان كولنز نفسه تم تجاوزه لاحقاً. ولأن النوع الذي أسسه سرعان ما اقتضى آثاره فيه، عشرات الكتاب، ولا سيما

في العالم الأنغلو - ساكسوني، ما خلق زحاماً نسي المؤسس في خضمه.

وتتتمي عدة روايات لويلكي كولنز إلى النوع نفسه، ومعظمها نشر في شكل قصص مسلسل في مجلة (غراهام) التي كان يحررها تشارلز ديكنز «الذي تحمل روايات عدة له، هو الآخر، السمات نفسها وإن كان من مواقع أكثر اجتماعية... بيد أن (السيدة ذات الرداء الأبيض) تظل الأشهر بين أعماله، وإن كانت رواية أخرى له هي (حجر القمر) 1868 فكانت من أهم الروايات البوليسية الأولى، التي اعتبرها تي. اس. إلبوت «أجمل رواية بوليسية، إذ إننا نجد فيها كل ما هو جيد وفاعل في هذا النوع من الأدب».

ويُعد وليكي كولنز مؤسس أدب الرواية البوليسية الخيالية الإنجليزية، ومن اللافت أن يكون دارسو حياة كولنز رويوا أنه، خلال مرحلة صداقته الحميمة مع تشارلز ديكنز، كان الاثنان اعتادا التوجه مراراً وتكراراً إلى باريس، كلما سئما لندن، حيث يتجولان بين الحانات، ولكن أيضاً بين المكتبات، ويصفيان إلى ما يروى لهما. ويبدو أن الاثنان كانا يدونان أشياء كثيرة مما يروى، بل إن الكاتبين الانكليزيين كان من هوياتهما أيضاً جمع كل ما له علاقة بالمحاكمات الشهيرة والقضايا الجنائية التي عرفت في فرنسا. ويبدو أن كولنز استوحى (السيدة ذات الرداء الأبيض)، من واحدة من تلك القضايا، وإن كان المناخ إنكليزياً خالصاً. أما الإضافات الأساسية التي جاء بها كولنز في هذا الإطار، جاعلاً منها الأساس الذي سيبني عليه نوع بأسره من الأدب، فهو، في الشكل، وأيضاً في المضمون حيث كان هو من أول كتاب النوع الذين يخلقون توطؤاً مع قارئهم منذ الصفحات الأولى... ذلك أن كولنز أوصل إلى قارئه، منذ تلك الصفحات كل المؤشرات الضرورية للوصول به إلى حل اللغز... كما أنه كان من أوائل الذين جعلوا الذنب الحقيقي - الذي ستكتشف هويته في النهاية، واحداً من الذين يشبهه القارئ بهم أقل من غيرهم...

وقد أكد كولنز في مقال نشر له عام 1858 بعنوان الجمهور المجهول قائلاً: «يوجد جيل جديد من القراء أرادوا قراءة الكتب التي تعكس تغيير منزلتهم في المجتمع». وقد ساهم ارتفاع معدلات معرفة القراءة والكتابة إلى زيادة شعبية الروايات البوليسية.

وفي (السيدة ذات الرداء الأبيض)، تبدأ الأحداث بأستاذ رسم يدعى والتر هارترايت يلتقي في شارع عثم بسيدة من الواضح أنها مجنونة مرتدية ثياباً بيضاء... ويلاحظ على الفور أنها تشبه واحدة من تلميذاته هي الحسناء لاورا فيرلي، التي يهيم بها حباً... صحيح أن لاورا تبادلته حبه، لكن أباهما يرفض زواجهما لأنه كان وعد بها السير برسيغال غلايد، ما دفع هارترايت إلى السفر وقد استبد به اليأس. في أثناء ذلك يقترن السير برسيغال بلاورا، التي سرعان ما ستكتشف أن الرجل لم يتزوجها إلا طمعاً في ميراثها،

فترفض أن تتنازل له عن شيء، ما يجعله، بمساعدة الكونت الإيطالي، شريكه، فوسكو، يتوصل إلى وضعها في مصح للأمراض العقلية مكان سيدة تعرف بـ(ذات الرداء الأبيض) ماتت لتوها... ويتمكن برسيغال وفوسكو من دفن هذه الأخيرة تحت اسم ليدي غلايد، ما يعني أن برسيغال بات الآن قادراً، إذ «ماتت» زوجته على الحصول على الميراث. بيد أن ماري هالكومب، نسبة لاورا، تدرك ما حصل، وتتدخل في الأمر حيث تتمكن من تسهيل فرار الزوجة الشابة من المأوى. وإذ يكون مدرس الرسم هارترايت عاد كان في تلك الأثناء، تلتجئ إليه المرأتان، فيقرر وضعهما تحت حمايته وإنقاذهما من براثن برسيغال وخطته الجهنمية وشريكه الإيطالي. ويتمكن بالثاني من فضح ما حدث... فلا يكون من أمر الكونت فوسكو إلا أن يعترف، ما يمكن لاورا من استعادة هويتها وميراثها ومكانتها الطبيعية. أما زوجها المجرم برسيغال غلايد، فإن نهايته ستكون أسوأ من نهاية شريكه فوسكو، ذلك أنه سيحترق فيما يحاول إحراق وثائق الأبرشية لكي يتابع خطته ولكن في اتجاه آخر هذه المرة. وعلى هذا النحو، يصبح في إمكان لاورا، حتى أن تستعيد حبها القديم لهارترايت، فيتزوجان في الوقت الذي ينتهي الأمر أيضاً بفوسكو لأن يقتل على يد عميل لجمعية سرية إيطالية، كان فوسكو عضواً فيها كما يبدو وغدر بها. وهكذا، يقول لنا كولنز: إذا كنت خائناً مرة في حياتك فأنت ستبقى خائناً إلى الأبد... وفي المقابل إذا كنت طيباً مرة فأنت طيب دائماً.

لعبة (الأسود والأبيض) هذه تشكل قاسماً مشتركاً بين العدد الأكبر من أعمال الأدب البوليسي، وإن كانت ميلودرامية كولنز هنا تبدو صارخة، تجعل روايته تُقرأ مثلما كانت تُقرأ روايات شارلوت وإميلي برونتي، «الميتة بعتمة الليل» و«حكايات الأزواج القساة» و«النساء المخبئات لسبب من الأسباب» و«الغراميات التي تفشل على مذبح يوميات الحياة» و«قسوتها، لتستعيد قوتها في نهاية الأمر».

عاش ويلكي ويليام كولنز بين 1824 و1889. وهو بدأ حياته الأدبية بكتابة الروايات التاريخية التي كانت (أنطونينا) من أولها في العام 1850، أي العام الذي ارتبط فيه بصداقة مع تشارلز ديكنز وأصبح معاوناً له، في عمله الصحافي... وكان من الواضح تأثر كولنز بأسلوب ديكنز، في العدد الأكبر من رواياته التي ظل يكتبها حتى نهاية حياته، وأتت في معظمها روايات مغامرات وميلودرامية وبوليسية ومن أشهرها (بلا اسم) و(أرما دال)... وهو إلى هذا خاض النقد السياسي في صفوف النزعة الاشتراكية الليبيرالية إلى جانب ديكنز نفسه.

وقد ساهم تشارلز ديكنز (1812 - 1870) باكراً حين كتب روايته (البيت المنعزل)، سنة 1853، وهي قصة محام متواطئ قتل في مكتبه في ساعة متأخرة من الليل. وقد ظهر عدد من الأشخاص متخفين على الدرج المؤدي إلى مكتب المحامي المقتول في تلك الليلة، وكان على المحقق أن يفك

أغماز الجريمة لمعرفة من هؤلاء هو القاتل. ويُعد بإجماع النقاد أعظم الروائيين الإنكليز في العصر الفيكتوري، ولا يزال كثيرٌ من أعماله يحتفظ بشعبية حتى اليوم.

وظهر شرلوك هولمز ورفيقه الدكتور جون واطسون عام 1887 في رواية السير آرثر كونان دويل التي عنوانها دراسة قمرية. وهولمز أشهر الشخصيات في القصص الخيالية البوليسية وكانت السنوات الأولى من القرن العشرين فترة إثارة وأصالة في القصص الخيالي البوليسي.

ابتكر الكاتب الأمريكي جاك فوتريل (1875 - 1912) شخصية اسمها الآلة المفكرة، كما أدخلت البارونة أوركي المجرية المولد شخصية (العجوز الذي في الزاوية). وقد شهدت الفترة بين عامي 1925 - 1935 نشر أول المؤلفات المهمة لكتاب القصص البوليسية مثل ماجري أئينغهام، ونيقولاس بليك، وجون دكسون كار، والسيدة آغانا كريستي، وإيرل ستانلي جاردنر، وداشيل هاميت، ومايكل إنس، وفي عشرينيات القرن العشرين أدخلت مجلة (القناع الأسود) طرازاً أمريكياً واضحاً من الأغماز، كثيراً ما يسمي الشرطي القصص حول شرطي سري بطل شديد المراس، والإجراءات المشوقة والعنف والأسلوب القصصي النابض بالحياة. وتزعم هذه الحركة داشيل هاميت في العشرينيات وتبعه ريموند تشاندلر

بعد عقد من الزمان. وما زال هذا الأسلوب يلقي رواجاً واسعاً هذه الأيام.

وخلال مرحلة ازدهار الرواية البوليسية ابتكر الناشر البريطاني إنان لين صاحب دار بنقوين بوكس للنشر فكرة تساعد على انتشار الرواية البوليسية وتجعلها في متناول الجميع، فقد امتك مع أخويه حقوق نشر الروايات التي كتبها الروائية دورثي سيارس وآخرون، وبدئ تنفيذ الفكرة في عام 1935 بأغلفة من الورق المقوى لعشرة كتب، وبسرعة وصلت إلى سبعين كتاباً خلال عام، ومن خلال دار نشر بنقوين بوكس التي اتخذت

البطريق شعاراً لها أصبحت الروايات سهلة الوصول للقراء بسبب سعرها المنخفض، ووجودها في المكتبات، ومراكز التسوق والقطارات، وقد ساهمت مبادرة إينان في انتشار الروايات البوليسية بشكل سريع.

وقد أكد عدد من النقاد أن الرواية البوليسية ازدهرت بعد

الحرب العالمية الثانية وتوقعوا أن السبب يتمثل في أن الناس أرادوا أن يتأروا من الجرائم التي ارتكبت في الحرب ضد الإنسانية ويشبعوا شغفهم الإنساني برؤية عقاب الجاني.

#### الرواية البوليسية الأمريكية:

وصلت الرواية البوليسية الأمريكية ذروة ازدهارها في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر فمن خلال شهرة إليري كوين الاسم المستعار لأبناء العم مان فرد بي لي وفريدريك داني اللذين أنتج تعاونهما الأول رواية (لغز القبة الرومانية)، التي نشرت عام 1929، وأظهرت البطل وهو مخبر سري هاو حل الألغاز مع والده ريتشارد كوين إليري، فحقق شعبية لدى القراء، وقد ألف إليري كوين ثلاثة وثلاثين رواية بوليسية على مدى 40 سنة أظهرت الأب والابن كضيق بحث سري. بعد ذلك ابتكر فرد وفريدريك شخصية مخبر سري أخرى نالت لدى القراء شعبية هي دراري لين، قدمت في عام 1923.

ظهر في تلك المدة نوع آخر من الرواية البوليسية، رواية (القناع الأسود) التي ظهرت مع تزايد عدد المجلات التي عرفت بدايتها بنشر قصص المغامرات، وبعد ذلك خصصت صفحاتها للرواية البوليسية، وأصبحت تلك المجلات نموذجاً للكتابة البوليسية. أسست رواية القناع الأسود اتجاهًا ثورياً للقصة البوليسية الكلاسيكية، وكانت محاولة لابتكار نوع جديد في الرواية البوليسية الذي يعكس الحياة الواقعية في أمريكا في ذلك الوقت وظهر ذلك في شخصياتها.

#### الرواية البوليسية في ألمانيا:

ما أن تذكر الرواية البوليسية في ألمانيا إلا ويذكر معها فريدريك شيلر وهوفمان اللذان كتبا أولى الروايات الألمانية.

بعد ذلك تطورت الرواية البوليسية من خلال تواصل كتاب ألمانيا مع كتاب من السويد، وقدمت نفسها مناهضةً للأوضاع الفاشية السائدة، وركزت على القيم الاجتماعية، واحترام الأقليات. وقد استغرقت الرواية أربعة عقود لتحقيق النجاح.

وفي العصر الحاضر حققت الرواية البوليسية الألمانية نجاحاً في المشهد الثقافي الأوروبي بالرغم من اعتبار بعض الكتاب الألمان لها بأنها أدباً هزلياً في المحيط اللغوي الألماني. وقد ترجم عدد من الروايات الألمانية إلى اللغة الإنجليزية، وقام كتاب الرواية البوليسية الألمان بتنظيم رابطات لأنفسهم لتحمل الرواية الألمانية البوليسية روحها الخاصة والتي أضافت فيه البعد الاجتماعي ووصلت إلى العالمية.

#### الرواية البوليسية الفرنسية:

كان الكتاب الفرنسيون من أوائل كتاب الرواية البوليسية، ومازالت الرواية البوليسية الفرنسية تجد شعبية بين الأجناس الأدبية في الأدب الفرنسي، ويفضل الفرنسيون الرواية البوليسية الغامضة والمبهمة، وقد انجذب الفرنسيون إلى الكتابة عن القضايا التي تلمس الجانب المظلم في مجتمعاتهم. فالرواية الفرنسية تميل إلى التركيز على كشف الفساد الاجتماعي، والحكومي، وقد تحمل الكتاب الفرنسيون مسؤولية شجب الشر، من خلال اهتمامهم بخلق أجواء روائية خاصة طوروا شخصهم فيها، وابتكروا فيها اتجاهًا جديدًا للأسلوب السردى أكثر من اهتمامهم بالحبكة الروائية.

تطورت الرواية الفرنسية منذ بدايتها، وصنفت مع الروايتين الأمريكية والبريطانية في نفس المستوى الإبداعي. ويعتبر يوجيه فرانسو الشخصية الجذابة والمهيرة في تاريخ الجريمة الفرنسية، وهو مخبر الشرطة الذي أصبح فيما بعد أول رئيس في الشرطة الفرنسية، فقد كان راوية عظيم، وقد وثق قصة حياته في سيرة ذاتية. ولكن أول شخصية روائية بوليسية هو ليكو الذي ظهر في رواية الأرملة ليروج 1866 للكاتب الفرنسي إيملي قاجرو الذي يعد أول كاتب فرنسي يكتب الرواية البوليسية الحديثة.

#### الرواية الإسكندنافية.. النمو باتجاه العالمية:

لوقت طويل لازم أدب الرواية البوليسية في الدول الإسكندنافية (النرويج، الدنمارك، السويد، فنلندا) طقوساً خاصة بها، أدت إلى قلة انتشارها عالمياً ولمدة طويلة. وقد ظهرت الرواية الإسكندنافية إلى العالمية عندما ترجمت روايات بسجوال وهولو إلى لغات العالم الرئيسة وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية لتشعل تلك الروايات شرارة التغيير في تاريخ الرواية الإسكندنافية.

شجع نجاح سجوال وهولو عدداً من الأدباء الإسكندنافيين فكتبوا الرواية البوليسية وأصبحوا معروفين في خارطة الأدب العالمي أمثال مانكل، فوسم، وبيتر هاكان.

أما الآن ومع تزايد عدد كتاب الرواية الإسكندنافيين الجدد

المتميزين مثل لارسون ماركلند، ثيرون، كامبلا.. وآخرين؛ فقد بدأت الرواية الإسكندنافية تشق طريقها نحو العالمية، وتلفت اهتمام الكتاب في العالم الناطق باللغة الإنجليزية، وبدأت تظهر صور كتاب إسكندنافيين على مواقع الشبكة العنكبوتية والصحف الأدبية في أمريكا وبريطانيا.

وفي مقال للروائي الأمريكي نايفل ريتش 2009 بعنوان (موجة الرواية الإسكندنافية) طرح سؤاله: لماذا أكثر الناس سلاماً في الأرض يكتبون أعظم جرائم الرب؟ حيث ذكر في مقاله أنه رغم أن النرويج والدنمارك حصلتا على المركزين الأول والثالث في قائمة الدول الأكثر استقراراً ورفاهية وسعادة، واحتلت السويد المرتبة الثالثة عشرة، وذلك في دليل السلام العالمي؛ يستطرد ريتش في مقاله: «إننا لن ندهش عندما نرى الروايات الصينية تتحدث عن ظلم الحكم الشيوعي والروايات الأوغندية تتحدث عن الجنود الأطفال؛ ولكن الرواية البوليسية الإسكندنافية تجعلنا نسأل لماذا تنتج هذه الدول المحبة للسلام أفضل الروايات البوليسية التي حققت أكبر معدل في المبيعات أمثال مانكل فوسم، وكيف نفسر لارسون مؤلف رواية (فتاة وشم التين) التي حصلت على المركز الثاني في الروايات الأكثر مبيعاً في العام الماضي».

وقد أظهر ريتش في مقاله أسباب ازدهار الرواية البوليسية الإسكندنافية اليوم، حيث ذكر من ضمن الأسباب تأثر الكتاب الإسكندنافيين بالروايات الإنجليزية التي كانت منتشرة لعقود عديدة، بالإضافة إلى رغبة الكتاب في تحقيق النجاح والانتشار خارج بلدانهم في أن يصلوا إلى القارئ الأمريكي والبريطاني.

فهم يدركون أن الطريق إلى تحقيق العالمية والوصول إلى الخارج هو الرواية البوليسية التي تستهوي القارئ في أمريكا وإنجلترا. فكتب الكاتب الإسكندنافي الرواية البوليسية حتى لو لم يكن الكاتب رأى جريمة في حياته.

#### العصر الذهبي:

يفضل كثير من قراء الرواية البوليسية، في أدب ما سُمي عصر الرواية البوليسية الذهبي، بين الحربين العالميتين، ألا يكون المحقق بطل الرواية شرطياً محترفاً، من السلك، بل أن يكون محققاً خاصاً أحياناً أو حتى هاوياً يهتم لسبب ما، بكشف سر الجريمة. لكنه في كل الأحوال لا بد من أن يكون موهوباً شديد الذكاء، وإن كانت بعض الروايات البوليسية السينمائية الفكاهية، أظهرت شخص المحقق الجنائي غيباً يرتكب أفعالاً خاطئة، وهو يتصنع الدهاء، مثلما ظهر المحقق كلوزو في سلسلة أفلام «الفهد الوردى» (The Pink Panther).

في هذه المرحلة، ظهرت قصص جنائية شديدة التعقيد، وكان لا بد من تحقيق يقرب من العبقرية لكشف القاتل. وتفنن كتاب هذا النمط، في إخفاء اسم القاتل حتى اللحظة الأخيرة، إيماناً في التشويق. وفي ختام الرواية تظهر كل

الحقيقة، ويكشف أسلوب المحقق الذي اتبعه في بلوغ هذه الحقيقة.

وقد اتسم عصر الرواية البوليسية الذهبي، بنمط المحقق الهاوي، الرفيع الأدب والكياسة، الذي يدس أنفه بلباقة وبراعة مصطنعة في جرائم المجتمعات الراقية والقصور والحدائق المترفة، والأرياف الراضعة، والقرى البعيدة. لقد صارت هذه البيئة هي المفضلة في روايات كتاب هذا النوع، حتى أضحت له درجة، أضمن عليها القراء، وفضلوها.

#### الفارسات الأربع:

يُسمَّى عصر الرواية البوليسية الذهبي ذهبياً، لبروز أربع كاتبات لمن بين الحربين العالميتين على الأخص، في هذا النوع من الأدب، هن: أغاثا كريستي (1890 - 1976) ودوروثي إل. سايزر (1893 - 1957) ونجايو مارش (1895 - 1982) ومارجري أنغهام (1904 - 1966)، وجميعهن إنجليزيات عدا نجايو النيوزلندية. ويضيف بعض النقاد خامسة هي جوزفين تاي.

لكن أشهرهن وأغزهرن نتاجاً، هي بلا شك أغاثا كريستي التي كتبت سلسلة روايات، كان أبطالها المحققين الجنائيين هركيول بواريه، ومس ماربل، وغيرهما. وتتسم رواية كريستي بالأحاديث التي تحير القارئ، وتقوده مرات كثيرة في غير طريق بلوغ الحقيقة. ومن أشهر رواياتها: «جريمة على قطار الشرق السريع» (1934)، و«موت على النيل» (1937)، و«ثم لم يعد هناك أحد» (1939).

واستخدمت تقنية الأحاديث المعقدة جداً في الرواية البوليسية، بطريقة فذة في عقدة روائية تبدو مستحيلة من قِبَل الكاتب جون ديكسون كار (1906 - 1977)، وهو نفسه كارتر ديكسون، الذي يعدُّ ملك روايات أنغاز الغرف المقفلة، وسيسيل ستريت (1884 - 1965)، الذي وقَّع رواياته أيضاً باسم جون رود. وقد تخصصَّ دكتور بريستلي، المحقق في رواياته، في استخدام الأدوات التقنية المتطورة.

وبرز من الأمريكيين في كتابة الرواية الجنائية ركس ستاوت (1886 - 1975) وإلييري كوين (اسم مستعار في مسلسل تلفزيوني أمريكي 1975 - 1976) وآخرون.

#### التحري الخاص:

لعل التحري مارتن هيويت، الذي كان بطل الكاتب البريطاني آرثر موريسون (1863 - 1945)، أول نماذج التحري العصري في الرواية الخيالية البوليسية.

في عشرينيات القرن الميلادي العشرين، لم يكن آل كابوني (1895 - 1947) مصدر خوف ورعب فقط في شوارع

شيكاغو وسائر المدن الأمريكية، بل كان كذلك مصدر فضول وتشوق لدى هذا المجتمع لمعرفة خفايا عالم الجريمة أيضاً.

وقد استثمرت مجلات أدب الخيال الإجرامي الأمريكية وكتابه ذلك الفضول استثماراً ذكياً، مثل مجلة «بلاك ماسك» (القناع الأسود) والمؤلف كارول جون ديلي (1889 - 1958) الذي آلف قصص عنف وتشويه وظلم، من عمل المجرمين. ولم يقصد ديلي أن تكون عقدة قصته لغزاً جنائياً غامضاً، بل اكتفى على الخصوص برواية حوادث عنف المجرمين، وحكم العدالة الذي يستحقون.

وشاعت في ثلاثينيات القرن العشرين روايات التحري الخاص، مثل داشيل هاميت وجونانان لاثير وإيرل ستانلي جاردنر، لفضح عالم الجريمة السفلي العنيف، في الشارع الأمريكي. وفي أواخر الثلاثينيات، طوّر ريموند تشاندلر (1888 - 1959) هذا النوع الأدبي بفضل بطله التحري فيليب مارلو، الذي أضفى صفة حميمة على عمل المحقق الجنائي. ثم دخلت شخصية مارلو في عدد من القصص التلفزيونية. وتابع جيمس هادلي تشيس (1906 - 1985) أسلوب تشاندلر في رواياته البوليسية (قداس الشقراء الجنائزي) 1945 (وإل قبها بين الزنابق) 1950، (واحسبه لنفسك) 1950. وزاد تطوراً في هذا الخط الذي يعتمد التحري الخاص، الكاتب روس ماك دونالد (1915 - 1983) الذي كان بطله التحري الخاص لو آر تشر. وتميَّز أسلوب ماك دونالد باستخدام علم النفس وجمال أسلوب الكتابة. ويذكر أن هوليوود أنتجت فلم (هاربر) سنة 1966، ولعب فيه بول نيومان دور التحري لو آر تشر، والفلم مؤسس على رواية ماك دونالد (الهدف المتحرك). وقد أعاد نيومان الكرة في فلم (حوض الفرق) في سنة 1976.

ويرى النقاد أن مايكل كولنز، واسمه الحقيقي دنيس ليندز (1924 - 2005) أدخل هذا النوع الأدبي، أي رواية التحري الخاص البوليسية، في العصر الحاضر. ففيما واطب على تلك القصص التي تجعل التحري الخاص يواجه قوى أكبر من إمكاناته بما لا يقاس، مثلما فعل سابقوه، إلا أنه أضاف عنصر التحليل الاجتماعي على الرواية الجنائية البوليسية، وأثر مكانة البشر في هذا العالم السفلي، عالم الجريمة.

#### الروايات يشاركن:

حتى ليندز، كانت رواية التحري الخاص ضمن أدب

الرواية البوليسية، حكرًا للمؤلفين الرجال، إلى أن ظهرت روايات الأمريكيتين مارسيا مولر، وسو جرافتون، في أواخر سبعينيات القرن الميلادي العشرين وأوائل ثمانينياته. وقد أدى نجاحهما إلى إقبال الناشرين على مؤلفات القصص البوليسية من النساء.

#### كبوّة ثم نهضة:

غير أن النصف الثاني من القرن العشرين، شهد طغيان اهتمامات هزت العالم بأسره، منها حرب فيتنام وثورة الشبيبة في الستينيات، والحرب الباردة بين الدولتين العظيمتين. ثم ظهور الهم البيئي الذي تبعه تطور تكنولوجي مدهش.. وكان من الطبيعي أن يفرض كل ذلك نفسه على عالم الأدب والفنون، فتراجعت مكانة الرواية البوليسية لتتبع مؤقتاً في ظل الرواية السياسية والاجتماعية. ومع ذلك، فإنها لم تقترض تماماً. ففي ظل أدباء سياسيين أو مسيسين من أمثال ألكسندر سولجنيتين مؤلف (خليج الفولك) الشهير، كان هناك بعض الأسماء التي راحت تلمع بفضل رواياتها البوليسية، ومن أشهر هؤلاء على الإطلاق سيدني شيلدون، الذي كان عراب أفضل الروايات البوليسية في العقد الأول من القرن الحالي.

ففي التسعينيات، كان مؤلف الأغاني دان براون يمضي إجازته في الكاريبي عندما طالع إحدى روايات شيلدون التي أثرت فيه بعمق إلى درجة اتخاذ قرار التحول إلى كتابة الروايات البوليسية. وبالفعل، في العام 1998، نشر دان براون روايته الأولى (الحصن الرقمي) التي أتبعتها بروايتين أخريين هما (حقيقة الخديعة) و(ملائكة وشياطين) بعد ذلك (شيفرة دافينشي) و(الرمز المفقود) وأخيراً (الجحيم).

لم يتل براون نجاحاً تجارياً يستحق الذكر في بداية الأمر. إذ بلغ معدل ما يبيع من كل من هذه الروايات نحو 10 آلاف نسخة. إلى أن نشر في العام 2003 روايته الشهيرة (شيفرة دافينشي) التي جعلت المجلات الأمريكية تصنفه كواحد من الشخصيات المئة الأكثر تأثيراً في العالم، بسبب الرواج الهائل الذي لقيته هذه الرواية. إذ طبع منها نحو 100 مليون نسخة، وبفضلها عادت رواياته السابقة إلى الرواج، الأمر الذي أمّن للمؤلف دخلاً سنوياً يقدر بنحو 75 مليون دولار.

تدرج روايات دان براون في إطار الرواية البوليسية بالمعنى الحرفي والتقليدي للكلمة. فمعلمها يبدأ بجريمة قتل غامضة، يتطلب حل لغزها عبقرية محقق متفقد (مثل روبرت لانغدون الذي كان بطل أربع من هذه الروايات)، وهو أستاذ في جامعة هارفرد وليس شرطياً عادياً. والسبب في اختيار هذا النوع من الأبطال، هو أن حل اللغز الغامض في روايات براون يجول بالقارئ على عالم المؤسسات الكبرى مثل الكنيسة الكاثوليكية ومؤسسات الأمن القومي الأمريكي والجمعيات السرية مثل الماسونية و«الإيلوميناتي»، وزمنياً، يمكن للمؤلف أن يجول بالقارئ ما بين زمن الحروب الصليبية وعصرنا الحاضر بكل ما فيه من تقنيات لا تزال مجهولة أو قيد الاختبار.. وهذا ما أضفى على رواياته نكهة خاصة لم يعهدها قراء الروايات البوليسية من قبل، الأمر الذي أدى بدوره إلى تحول هذا النوع من الأدب البوليسي إلى مدرسة، بدأ الكثيرون يتسجون على منوالها.

ومن أبرز المنتمين إلى المدرسة «البراونية» هذه، الروائي السعودي الدكتور منذر القباني، الذي كتب حتى الآن روايتين بوليسيتين هما (حكومة الظل) و(عودة الغائب)، وكتلتهما تدوران حول الصراع ما بين المحافل الماسونية من جهة و(العروة الوثقى) من جهة أخرى. والعقدة، كما هي عند براون، تبدأ بجريمة قتل، والبطل شخص متفقد يجد نفسه متورطاً في التحقيق سعياً إلى حل اللغز الغامض.

#### الرواية البوليسية التاريخية:

وثمة فرع في الرواية البوليسية، يسمّى الرواية البوليسية التاريخية، وفيها عادةً سر غامض هو العقدة الأساسية، ويتضمن جريمة، غالباً ما تكون اغتيالاً سياسياً، في حادثة تاريخية. وثمة نقاش يتناول عدداً من العناصر في هذا الفرع، منها: كم سنة يجب أن تمضي على الحدث قبل أن تستحق القصة الصفة التاريخية، أو: هل ينبغي أن تحتوي حقائق تاريخية، وكم من نسج الخيال يحق للمؤلف أن يضمّن روايته لتبقى «تاريخية». وهل ينبغي أن تكون الضحية شخصاً حقيقياً من التاريخ مثل سقراط أو موتسارت، أم أن القصة التاريخية قد تتسع لرواية اغتيال شخص وهمي، لكن في بيئة زمنية واجتماعية تاريخية. وهل يكفي أن يكون التحري شخصاً تاريخياً فتحاك من حوله قصة غير حقيقية.

أول من كتب الرواية البوليسية التاريخية ملفيل دافيسون بوست (1869 - 1930)، وأنا كاترين جرين (1846 - 1935)، وإن كان جرجي زيدان اقترب في رواياته التاريخية من هذا النوع، مع أنه لم يعالج روايته من ناحية جنائية، وكان همه وضع الحقائق التاريخية في إطار قصصي مشوق. ثم ظهرت الأمريكية ليليان دي لاتور (1902 - 1993)، واسمها الحقيقي ليليان ماكوي، وقد

تخصصت في روايات يحول عقدها أسرار غامضة ومثيرة. لكن النوع كان ينتظر اسماً بدأ يلعب في 1944: أغاثا كريستي نفسها، بروايتها: «في النهاية يأتي الموت»، وهي قصة بوليسية تاريخية، حدثت وقائعها في مصر القديمة، فيما تناول جون دكسون كار سنة 1950، عصر نابليون بونابرت في روايته: «عروس نيوجيت». وهي في الوقت نفسه من فرع رواية التحري عن القاتل. ثم كتبت جوزفين تاي (1996 - 1952)، واسمها الحقيقي إليزابيث ماكتوش) سلسلة روايات من هذا النمط، يدخل في إحداها التحري المستشفى لكشف جريمة قتل الملك الإنجليزي رتشارد الثالث. وتوالت الأسماء منذ 1970، فكانت إيس بيترز (1913 - 1995)، واسمها الحقيقي إديث ماري بارجيتر) التي أصدرت 21 قصة من يوميات الأخ كادفائيل، وتدور حوادث رواياتها البوليسية قبل ألف سنة. وموضوعها جرائم قتل تاريخية. وتعاظم الإقبال على الرواية البوليسية التاريخية في تسعينيات القرن الميلادي العشرين، بظهور روايات ليندسي ديفيس التي تدور حوادث الجرائم فيها في عهد الإمبراطور فسبازيان الروماني، ثم روايات الأمريكية إليزابيث بيترز (واسمها الحقيقي بربيرة ميرتس)، التي كتبت روايات بوليسية عن جرائم في مصر في عشرينيات القرن العشرين.

#### أنواع أخرى:

درج كذلك في الرواية البوليسية نوع يميل إلى جريمة القطارات، ففي القطار لا يعرف الناس أحدهم الآخر عادة، ويضفي هذا الأمر سمة غموض على أية جريمة تحدث على قطار. وكان أول محقق في جريمة قطار ثورب هازل، بطل رواية القس الإنجليزي فكتور وايتشيرش (1868 - 1933)، ثم كرت السبحة.

وثمة روايات بوليسية أقيمت عليها كتابات في أواخر القرن العشرين، واتسمت بمعالجة قصص الحوادث الغامضة، البعيدة عن العنف، مثل أسرار صناعة الغذاء والأسرار المهنية الأخرى والتجسس فيها، وغلب فيها أن يكون المحقق امرأة.

لكن روايات الكُتاب الرجال جنحت في دُرَجَة جديدة، إلى روايات مجرمي القتل الجماعي المتسلسل، وكأنها تتأثر من النوع البوليسي النسائي «السلمي» الخالي من فظائع العنف، بهذه الجرعة من العنف في أخته وأفضله. وقد بدا للكُتاب ربما، أن هذا النمط من الرواية البوليسية يفيض نوعاً ما عن طاقة الشرطة الرسمية، ولا بد له من التحري الخاص، بتخفيه وحكته وتحرره من قيود الوظيفة الرسمية ودوامها.

وكانت روايات من هذا النوع ظهرت في عشرينيات القرن العشرين، وكان «بطلها» مجرم مهووس بالقتل، هي رواية فيليب ماكدونالد (1900 - 1980) «هر بأذنان كثيرة». غير أن رواية الجرائم المتسلسلة البوليسية لم تبلغ أشد الإقبال عليها إلا بعدما ظهرت في المحافل الأدبية عبارة: (Serial Killer) القاتل المتسلسل)، في سبعينيات القرن

العشرين، ولا سيما عند نشر رواية: (صمت الحملان) سنة 1988. وهي رواية للأمريكي توماس هاريس، وظهرت في فلم، أخرجه جوناثان ديم، ومثل أدوار البطولة فيه جودي فوستر وأنطوني هوبكنز، ونال الفلم جوائز أوسكار. ولعل ما في عبارة «القاتل المتسلسل» من عنصر غموض ورعب، هو الذي اجتذب مجبي النوع، الذين يعيشون ذلك الإحساس فيما يقرأون ويشاهدون.

#### روايات التشويق:

إذا كانت أنواع الروايات البوليسية تحتاج إلى كتمان سر العقدة حتى النهاية، حتى لا تضيق لذة القراءة على القارئ، (باستثناء النمط الصيني الذي يقبل مسار التحقيق، بدءاً من معرفة القاتل، وصولاً إلى وقوعه في قبضة العدالة)، فإن أشد أنواع الرواية البوليسية حاجة إلى هذا الكتمان هي روايات التشويق (Suspence). فهذا النوع يحبس نفس القارئ، بما فيه من تسلسل مفاجآت وانتقالات مواقف. ولذا يحرص النقاد على عدم كشف العقدة في مقالاتهم، فيما يحرص القارئ على عدم قراءة النقد عادة قبل قراءة الرواية نفسها. وقد صار معهوداً أن يلتزم كتم سر العقدة في الرواية المعلنون والأكاديميون في مقالاتهم، حماية لحق القارئ في شحنة التشويق التي تستحق له في قراءته، حتى أن مشاهدي فلم «شاهد ادعاء» (Witness for the Prosecution)، الذي ظهر سنة 1957، نوشدوا في الإعلان بالفيلم، ألا يبوحوا بسر العقدة، وهو مؤسس على قصة قصيرة ثم رواية «نحن المخلصين» لأغاثا كريستي، تدور أحداثها في قاعة محاكمة رجل متهم بالقتل، ولعب دور البطولة فيه تايرن باور ومارلين ديتريش وتشارلز لوتون، وأخرجه بيلى وايلدر.

#### حال الرواية البوليسية اليوم:

مازالت الرواية البوليسية في بريطانيا تحتفظ بأجوائها الريفية، وبالمحقق الذكي والتفسيرات المنطقية، ولعل الملح الجديد هو الابتعاد عن وجود جريمة قتل وحضور الاختفاء. أما الرواية البوليسية الأمريكية فقد تدهورت وأصبحت تصور الواقع الأمريكي، وابتعدت عن الرواية كفن قصصي تشويقي. ولعل الجديد في عالم الرواية البوليسية الأمريكية هو وجود جرائم الجنس التي جسدت العنف الجسدي الوحشي.

تبقى الرواية البوليسية في العالم رواية انتصار الخير على الشر، والسلام على الحرب، والحب على الكراهية.

#### الرواية البوليسية في التحليل النفسي:

أما الفرنسي بيار بيار الذي جاء إلى عالم نقد الرواية البوليسية من جانب التحليل النفسي لأنه ومن موقعه كأستاذ محاضر في الجامعات الفرنسية في الآداب وفي التحليل النفسي، أطلق نظرية (النقد البوليسي) الخاص بالرواية البوليسية، كما أطلق مفاهيم نظرية جديدة منها أن المجرم الحقيقي والرسمي في الروايات الكلاسيكية الكبيرة يخبئ في داخله هوية الضحية الحقيقية: عنوان أو مدخل مثير لعالم

بيار بيار الذي اصدر العشرات من الدراسات حول الرواية البوليسية وكان أهمها في الأونة الأخيرة: (من قتل روجيه اكرويد؟) و(بحث حول هاملت: حوار الطرشان) و(قضية كلب باسكرفيل) وغيرها من المؤلفات المثيرة للجدل. وماذا عن الأدب:

وشهد القرن العشرون بروز أسماء كثيرة في الرواية البوليسية أو الرواية السوداء حتى أن بعض الكتاب في أنواع أدبية أخرى حسبت عليهم بعض الأعمال على أنها في إطار الرواية السوداء مثل بعض أعمال وليم فوكز مثل (الدخيل) أو غيرها...

ومع الأهمية التي أولاها النقد الأدبي للرواية البوليسية وبعدها الرواية السوداء، أخذت هذه الأخيرة تتطور على أيدي عدد كبير من الكتاب لا زالت مؤلفاتهم تملأ المكتبات في العالم حتى اليوم: من جورج سيمونون الذي أطلق الشخصية الشهيرة (المفتش ميغريه) التي انتقلت إلى الشاشة الكبيرة مع شهرة واسعة للممثل جان غابان في الخمسينيات الذي جسدها، إلى أسماء كثيرة لا زالت على الساحة اليوم: جان باتريك مانشيت وآلياس الآن فورينيه وصولاً إلى جايمس ايلروي مع روايته: (الداليا السوداء) و(قاتل على الطريق) وغيرها من المؤلفات التي أوجت باقتباسات عديدة.

أما اليوم فتشهد الرواية البوليسية أو السوداء تحولات عديدة مع (أبطال روائيين) أكثر منهم أبطالاً في مضمون الكتب، أي أن الشهرة انتقلت من أبطال الرواية إلى المؤلفين الذين صاروا على لوائح (الرقم 1) في بلدانهم أو خارجها نذكر منهم: الكاتبة فريد فارغاس، الكاتب لورانس بلوك من أمريكا، إدواردو ماندوزا من اسبانيا، مارك فيلا من فرنسا، وغيرهم من الكتاب الذين صاروا يجسدون في كتبهم كل العنف في المجتمعات المتنوعة وكل العنف الفردي الذي يعيشه الإنسان اليوم في خضم الحروب والتطورات والاكتشافات الحديثة.

#### الرواية البوليسية ومشتقاتها على الشاشتين:

شكلت الرواية البوليسية جزءاً أساسياً من نسيج صناعة السينما ولاحقاً التلفزيون، بحيث يمكن القول إن الأفلام البوليسية تحتل المرتبة الثانية بعد الأفلام العاطفية في تاريخ السينما، وتتقدم من ناحية الكم على الأفلام التاريخية والكوميديا والسياسية، بحيث يستحيل تقديم كشف كامل بها. إذ لم تترك السينما لونا من الألوان البوليسية إلا وصورتها. فإضافة إلى الأفلام التي ورد ذكرها سابقاً، والتي أصبحت من كلاسيكات السينما، اشتق الفن السابع ألواناً من هذا الفن خاصة به، راجت وتروج بفعل «سينمائياتها»، أي من كون قيمتها الفنية نابعة أساساً من تصويرها وليس من النص المكتوب.

فبموازاة الأفلام البوليسية الكلاسيكية، ظهر نوع من الأفلام يقوم أساساً على الحركة (Action)، حيث المجرم معروف منذ البداية، بطارده شرطي أو جندي سابق خدم

في الوحدات الخاصة.. أما مسار الفلم فهو صراع ما بين الطرفين ومطاردة ومواجهة شرسة تنتهي غالباً بمقتل المجرم بشكل عنيف، وليس بوضعه وراء القضبان كما في الروايات الإنجليزية الكلاسيكية. وهناك ممثلون يدينون بشهرتهم العالمية لهذا النوع من الأفلام مثل أرنولد شوارزينغر، وجان كلود فان دام، وبروس ويليس وغيرهم.

أما النوع الثاني الذي اشتقته السينما من الأفلام البوليسية، فهو بعض ما يندرج تحت أفلام الرعب مثل سلسلة أفلام (هالوين) التي أخرجهما السوري مصطفى العقاد، وسلسلة أفلام (صراخ) وغيرها.. وفي هذا النوع من الأفلام، فإن المحقق يكاد أن يكون غائباً تماماً، إذ تدور القصص حول الشكل الذي تقع فيه الجريمة، وهو عادة شكل قبيح، يثير في المشاهد مشاعر الشفقة على الضحية والنقمة على غيبتها.. ويمكن في أحيان أن تتحقق العدالة في النهاية على يد ضحية محتملة في غياب شبه كلي للمحقق ولرجال الشرطة الذين لا يظهرون إلا في نهاية الفلم.

وسبب ضخامة تكاليف إنتاج الأفلام البوليسية الكبرى وأفلام الحركة، فإنها تتجج للسينما أولاً، ثم تعرض بعد فترة على شاشات التلفزيون. ولكن بسبب انفتاح الأدب البوليسي على أنماط متعددة داخل اللون الأساسي الواحد، وجدنا التلفزيون ينتج أفلاماً ومسلسلات بوليسية خاصة به، لا تقل قدرة عن الأفلام السينمائية على جذب المشاهد، وذات تكلفة مادية أقل بكثير. فمقابل الأفلام القليلة التي صورتها السينما من روايات أغاثا كريستي، نجد التلفزيون الإنجليزي يعرض بشكل شبه متواصل مسلسلات مقتبسة عن روايات المؤلفة نفسها، لأن عقدها ومادتها تعتمد أولاً على ذكاء المحقق وليس على مشاهد تحطيم السيارات وتدمير الأبنية وتجيئها.

واليوم، تعرض الفضائيات العربية مجموعة ضخمة من المسلسلات البوليسية، منها على سبيل المثال (C.S.I Miami) الذي يدور حول أداء فريق خاص بالتحقيق في موقع الجريمة، والنجاح الذي لقيه هذا المسلسل دفع إلى إنتاج (C.S.I) خاص بأكثر من مدينة أمريكية مثل نيويورك ولوس أنجلس.. وهذه المسلسلات التي تتضمن معظم أساسيات القصص البوليسية، وتضيف إليها الاعتماد على التكنولوجيا المتطورة، لا تخلو من التغني ببعض القيم الاجتماعية مثل أهمية العمل ضمن فريق، والتقاؤل بحتمية ظهور الحقيقة وإحراق العدل والخضوع للقانون، حتى ولو تمكن المجرم من لي ذراع القانون لصالحه.

وأخيراً وليس آخراً، هناك مسلسل (عقلية إجرامية) الذي يلاقي نجاحاً عالمياً منذ بضع سنوات، وأبطاله هم فريق خاص في مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي، يعمل على اكتشاف المجرمين بناءً على تحليل سلوكهم ونفسياتهم. ويقوم هذا المسلسل بالفعل على آخر ما توصل إليه علم النفس وعلم الجريمة، إضافة إلى بعض «الإكسسوارات» التقنية.



ريموند تشاندلر



جوناثان لاتيمر



فيليب ماكدونالد



كارتر ديكسون



مارجري نتفهام

## واضعو أسس (الرواية السوداء) أو الرواية البوليسية

ادغار آلان بو والرواية البوليسية (19 كانون الثاني/يناير 1809 – تشرين الأول/أكتوبر 1849):

انطلاقة الرواية السوداء مع مؤسسها الكاتب الأمريكي ادغار آلان بو لها وقعها في هذا الملف، أولاً لأنه الرائد الذي لم يعرف تماماً أنه بمجرد نشره لثلاثيته القصصية حول (دوبان) في العام 1840 أرسى الرواية عند مفترق مهم ومثير ووضع الأسس لنوع أدبي جديد صار اسمه (الرواية البوليسية).

(قضية في شارع مورغ) تبعها (لغز ماري روجيه) من سلسلة التحري دوبان العبقري القادر على كشف الأنغاز وحلها بذكاء خارق، غير أن الموضوع لم يئل إعجاب القراء الذين كانوا في تلك المرحلة يفضلون القوس في عالم شارلز ديكنز أو بلزاك مثلاً خاصة أن آلان بو جعل رواياته مبنية على خليط من الواقع والتمثيل وأنه وصف الجرائم بأدق تفاصيلها المخيفة والمرعبة أو المرززة، الأمر الذي تحاشاه من سبقه وهو وصف بدقة الجرائم والبحث وأعمال التحري والشرطة ولكن تخوف آلان بو من فجاجة هذه الثلاثية جعله يقتنع بضرورة تخفيف حدتها بان يدير أحداثها نحو منعطفات ساخرة كأن يعترف مثلاً في إحدى الروايات أن بطله الذي يقوم بالقتل هو أساساً كائن حيواني وبالتالي غير مسؤول عن تصرفاته، وكأنه في كل هذا كان يبرر أحداث الروايات السوداء أو البوليسية حيث الجرائم التي وصفها وقضت مضاجع قرائه لم تصبح منقولة إلا لأنه أنكر وجودها بشكل آخر وفي نفس الرواية.

وقد أشار كبار النقاد إلى أنه كان «المعلم الأول للكتابات الفانتازية» و«مخترع القصة البوليسية»، و«المعهد الأول للرواية العلمية» و«المجدد للقصة الشعبية» و«الرائد في علم التحليل النفسي»... وعدد كبير من الدراسات الأخيرة، جاءت فيها إشارات إلى إن حياة بو لم تكن على هذا القدر من الإهمال في إدمانه وتسكمه وأن سمعته قد لطمختها بعض الأقلام الحاقدة والغيورة من عبقريته المفرطة، وأنه أيضاً لم يكن في وسع النقاد منذ مئتي عام شرح غرائبية كتاباته سوى بربطها بإدمانه وابتعادها عن الأخلاقيات السائدة في ذلك العصر. وفي كل هذا يبقى سؤال حول اللعنة التي رافقت حياة ادغار آلان بو، فهل هي حقاً كانت لعنة الواقع الحزين من حوله، أم كانت لعنة عبقريته الفذة الثقيلة على حياة انكسرت على 40 عاماً.

كونان دويل وشارلوك هولمز (22 أيار/مايو 1859 - 7 تموز/يوليو 1930):

آرثر كونان دويل الذي يُعد، مع أغاثا كريستي أشهر من

ولكنهما لم تلقيا نجاحاً لدى جمهور القراء.

عرض عليه بيير لافيت وهو رئيس تحرير واحدة من أكثر المجلات شعبية في فرنسا في ذلك الزمن «أنا أعرف كل شيء» أن يكتب عملاً يمكن أن ينافس ولو قليلاً أعمال الكاتب البوليسي الإنكليزي آرثر كونان دويل وبطله الشهير شرلوك هولمز، فكتب قصة (اعتقال أرسين لوبان)، التي حملت الخصائص الأساسية لشخصية أرسين لوبان التي صارت شخصية دائمة في رواياته. ولوبان لص حاذق وأنيق، مدافع عن العدالة والمظلومين، متعدد الوجوه، يتنقل بين هذه الوجوه بمهارة ويسر. فهو تارة حوذي وتارة مغني أوبرا، مرة طبيب روسي، ومرة أخرى مصارع ثيران إسباني. وقد حققت هذه القصة بفضل شخصيتها المحورية نجاحاً كبيراً لدى القراء مما جعل لوبلان ينذر نفسه طوال ما تبقى من حياته لكتابة نحو عشرين رواية حولها لاقت شهرة عالمية وترجمت إلى معظم لغات العالم. من هذه الروايات: (أرسين لوبان، اللص الظريف) 1907 (أرسين لوبان ضد شرلوك هولمز) 1908 (الحدود) 1911، (المثلث الذهبي) 1918، (الدائرة الحمراء) 1922، وقد تحول معظم هذه الروايات إلى أفلام سينمائية.

غاستون لورو والمفتش رولتابليل (6 أيار/مايو 1868 - 15 نيسان/أبريل 1927):

كذلك اشتهرت في فرنسا وإن بدرجة أقل من سابقتها، شخصية (رولتابليل) للفرنسي غاستون لورو في مؤلفات عديدة كان أبرزها: (انجازات رولتابليل) أو (لغز الغرفة الصفراء) وغيرها من المؤلفات التي كتبها لور بعد أن اعتزل المحاماة وبدأ في صحيفة قضائية ومنها إلى صحيفة (لوماتان) حيث عمل منذ العام 1894 إلى 1906، وبحكم أسفاره للتحقيقات الصحافية إضافة إلى حسه القضائي واهتمامه بأدق التفاصيل في كل قضية يلاحقها، رسم شخصيته الشهيرة للمفتش جوزف رولتابليل الذي يشبهه كثيراً ومن مؤلفاته تلك التي أغنت الرواية البوليسية بحس قانوني وقضائي مميز: (منزل القضاة) و(رولتابليل عند القيصر) (احتضار روسيا البيضاء)..

ويعد في الأدب الفرنسي بموازة إدغار آلان بو الأمريكي وآرثر كونان دويل الإنكليزي. واشتهر بروايته شبح الأوبرا التي نشرت عام 1910.

في عام 1907، اتجه إلى كتابة الروايات، ومن أشهر رواياته (أشهرها لغز الغرفة الصفراء). من حاول قتل الأنسة ستانغرسن؟ وكيف تمكن المجرم من الخروج من الغرفة الصفراء التي لا منفذ منها؟ على المفتش رولتابليل أن يفك هذا اللغز الذي يبدو مستعصياً.

أغاثا كريستي في بريطانيا (15 أيلول/سبتمبر 1890 - 12 كانون الثاني/يناير 1976):

تربعت أغاثا كريستي على عرش الرواية البوليسية الإنكليزية طوال نصف قرن دون مزاحمة، ولعل دراسة

الناقدة البريطانية (جوليان سيمونز) عن أدب الجريمة وتقنيات الرواية البوليسية التي صدرت بعدة طبعات منذ عام 1985، لعل تلك الدراسة تمنح أغاثا كريستي المكانة التي حققتها في ميدان أدب الجريمة على صعيد عالمي، وقارئ كريستي بالإنكليزية يلحظ دون أدنى شك أنها استخدمت لغة وسطى سلسلة وسياله، أنها لم تكتب بلغة (شكسبيرية) عالية رغم أنها ارتقت بأعمالها عن مستوى الإنكليزية المتداولة أعني لغة المحادثة اليومية ولعل هذا يفسر رواج قصصها ورواياتها لدى الأوساط الشعبية في بريطانيا وأوروبا وما وراء البحار، كما يفسر سهولة ترجمتها إلى مختلف لغات العالم. ومع أن الشخصيات الشهيرة في الروايات البوليسية البريطانية كان لها وقعها في الأدب والسينما غير أن كتابها ومخترعها هم الذين حصدوا اهتمام النقاد وثمة تفصيل دقيق هو أن معظم هؤلاء الكتاب هم نساء وقد أطلق عليهن لقب (أميرات الجريمة البريطانية) ومع أن رجالاً كتبوا في هذا المضمار وأبدعوا في انكلترا واشتهرت شخصياتهم مثل بايكر ستريت وشرلوك هولمز ودكتور واتسن وهركول بووارو لكن أميرات الجريمة لفتن أنظار العالم بإبداعاتهن في هذا المجال من أغاثا كريستي إلى ب. د. جايمس وصولاً إلى آن بييري..

وإذا كانت الرواية البوليسية في بريطانيا قد انطلقت عام 1860 ويكلي كولينز في (المرأة بالأبيض) أو (حجارة قمر) فان رواية (لغز السيدة اودلي) للمؤلفة ماري اليزابيث برادون نالت شهرة لا توصف منذ صدورها وحولت الأنظار إلى قدرة رهيبة لدى تلك المرأة في إدارة أحداث بوليسية كانت لا تزال حكراً على الرجال. غير أن برادون كما كل اللواتي كتبن بعدها مثل مسز هنري وود في روايتها (ايست لين)، فقد قدمن شخصيات نسائية تصل إلى الجريمة غير أن عقابها مرسوم لها في الرواية عينها لأن المجتمع قد رفض آنذاك صورة المرأة المجرمة أو المرأة المدبرة للمكائد التي ضربت صور المرأة الزوجة أو المرأة الأم.

وقد شهد رافد الرعب تطوراً كبيراً بظهور رواية (دراكولا) لبرام ستوكر. وظهر تأثر البريطانيين بالشرق في رواية (دماء فومان شو) لساكس رومر؛ حيث يواجه عبقرى الشر الصيني القيم البريطانية الغربية.

غير أن أغاثا كريستي وصلت مع رواياتها في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين لترسم بجرأة شخصياتها من رجال ونساء بعيداً عن كل محظور أو ممنوع، وبسرعة فائقة حجت أعمال كريستي كل أعمال النساء الأخريات اللواتي عاصرنها مثل مارغري أليينغهام او دوروتي ل سايرز او جوزفين تاي. وبعد كريستي، استمرت الرواية البوليسية مع مواهب كثيرة مثل روت رندل التي حولت هذا النوع الأدبي أكثر نحو البحث السيكولوجي وأيضاً مع موجة حدائث منها مثلاً كايت سامر سكال التي كتبت (قضية رود هيل هاوس) عام 2008 الكتاب الذي نال شهرة كبيرة وهو مأخوذ عن

قصة حقيقية أخذت منها أيضاً ويكلي كولينز لتكتب (حجارة قمر). وتعد روايتها (جريمة قتل روجر أكرويد)، التي تعد اليوم من كلاسيكات الأدب البوليسي. في عام وفي عام 1938 ولدت شخصيتها المعروفة الأخرى (مس ماربل) التي تقاسمت و(إركول بووارو) بطولتها رواياتها، وذلك في (جريمة قتل في الأبرشية).

وبعد وفاتها بعام نشرت مذكراتها، وخلصت ما يقارب مئة كتاب. وحسب معطيات منظمة اليونسكو فإن عدد النسخ التي بيعت من مؤلفاتها بين عامي 1920 و1980 بلغ 400 مليون نسخة، وقد ترجمت كتبها إلى ما يزيد على مئة لغة. وشاندلر وهامت في أمريكا:

في أمريكا: من الرواية البوليسية إلى الرواية السوداء: شاندلر وهامت..

تاريخياً، بدأت بذور الرواية السوداء في أمريكا حين بدأ داشيل هامت بنشر قصصه القصيرة الأولى عام 1923 في مجلة (بلاك ماسك) وخاصة بعد أن نشر روايته الأولى (الحصاد الأحمر) عام 1929، حيث جعل الرواية البوليسية تنخرط أكثر فأكثر من مجتمعهما الحاضر، ولم يعد همه ككاتب أن يكشف عن المجرم في جريمة معينة يصفها في كتابه مثلاً، بل راح يدرس أسباب الجريمة ومحيطها وأثرها على المجتمع وبذلك صور مجتمعه في صورة قائمة سوداء حتى صارت (الرواية السوداء) هي الصورة الحقيقية للمجتمع الحديث والمعاصر.

والرواية البوليسية من الأدب الأمريكي حيث ظهرت شخصية المخبر الخاص شبه المنبوذة، وهي التي تقوم بأعمال خاصة ومغامرات تدور على خلفية قيم معينة، وتمثل هذا في روايات داشيل هامت (الصقر المألطي) وروايات فيليب مارلو وميكي سبيلن. وتضافرت مع ظهور فن السينما الذي تبناها وصنع منها في البداية (الأفلام السوداء).

أما التغيير الذي أتى به الأمريكي ريمون شاندلر فقد كان واضحاً مع بطله فيليب مارلو في مغامرات روايات بلغت السبع حيث يلاحق مارلو قضاياها في مجتمع بأسلوب مغاير، وقد وضع شاندلر في بطله كل المقومات البطولية التي آمن بها: فهو جعل مارلو يتفرد بقراراته ولا يلتزم تعليمات الشرطة من حوله ومن عالمه ومعتقداته الخاصة، كان يحل كل المشاكل التي تعترضه: وبالتالي فشخصية فيليب مارلو هي صورة عن شاندلر بحسه الساخر تجاه المجتمع والسلطة والشرطة، وبإيمانه بمثالية إنسانية معينة هي على صورة القرن العشرين، «المثالية مع قبضة حديدية تلکم بها كل من يعترضنا وبعض السلاح إذا دعت الحاجة».

بهذا اختصر شاندلر بطله العصري الذي لم يعد مجرد شرطي أو مجرد مفتش، بل هو على صورة الرجل المثالي الذي يسعى إلى تحقيق السعادة من حوله وعلى طريقته المثالية.. كتب هامت وشاندلر وغيرهما من كتاب المرحلة

بدأت تصدر في كل دول العالم وبكل اللغات حتى غزت الرواية السوداء العالم. ومن أبرز من اهتم بنشرها الفرنسي مارسيل دوهاميل الذي أطلق (السلسلة السوداء) في داره الفرنسية للنشر أو (سييري نوار) التي عرفت كل العناوين والأسماء ولا زالت متربعة على لائحة الدور الأولى في العالم.

لمشاهدة تقرير عن الروائي جوسي أدلر أولسن **إضغظ هنا** ولمشاهدة تقرير على الرواية البوليسية في روسيا **إضغظ هنا**



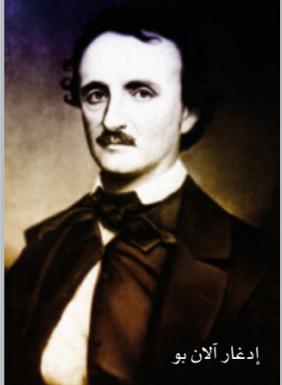
شارلز ديكنز



أغاثا كريستي



كونان دويل



إدغار آلان بو



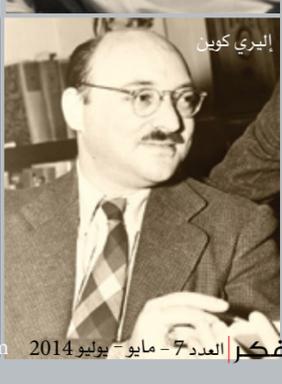
دان براون



روس ماك دونالد



ويكلي كولنز



البري كوين